

النموذج الثالث

وعلى هذا الدرب سار ثالثهم^(١) . . الذى :

● حكم بالتاريخية على كل القرآن الكريم - بكل ما فيه من عقائد . . وشرائع . . وقيم وأخلاق - . . لأن هذا القرآن - حسب قوله - نص بشرى ، تكوّن فى الواقع . . ومن الواقع . . ومن ثمّ فهو تاريخى ككل النصوص البشرية التى يكوّنها الواقع ، فتصبح تاريخية بتاريخية هذا الواقع . . وبنص عبارته :

« إن القرآن خطاب تاريخى ، لا يتضمن معنى مفارقاً جوهرياً ثابتاً^(٢) . . وليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة فى النصوص^(٣) . . لقد تشكّل القرآن من خلال ثقافة شفاهية . . والوقائع هى التى أنتجته . . فى مرحلة تشكّل النص فى الثقافة تكون الثقافة « فاعلاً » والنص « منفِعلاً »^(٤) . . وتكون

(١) هو الدكتور نصر حامد أبو زيد .

(٢) دكتور نصر حامد أبو زيد: مجلة [القاهرة] - مشروع النهضة بين التوفيق والتلفيق - أكتوبر سنة ١٩٩٢ م .

(٣) دكتور نصر حامد أبو زيد [نقد الخطاب الدينى] ص ٨٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢ م .

(٤) دكتور نصر حامد أبو زيد [مفهوم النص] ص ٩ ، ١٠٩ ، ٢٠٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠ .

الثقافة - اللغة - فاعلاً ، والنص مفعولاً^(١) . . فالنص ، فى حقيقته ، مُنتج ثقافى . والمقصود بذلك أنه تشكّل فى الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاماً . . والفكر الرجعى ، فى تيار الثقافة الإسلامية ، هو الذى يباعد به عن طبيعته الأصلية بوصفه « نصّاً » لغوياً ، ويحوّله إلى شىء له قداسته^(٢) . . إن الواقع هو الأصل . من الواقع تكوّن النص - [القرآن] - ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه ، ومن خلال حركته بفعالية البشر تتجدد دلالاته . فالواقع أولاً ، والواقع ثانياً ، والواقع أخيراً^(٣) . . والواقع الذى تشكّل النص من خلاله . . يشمل الأبنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، ويشمل التلقى الأول للنص ومبلّغه - [الرسول] - كما يشمل المخاطبين بالنص^(٤) . . والنص القرآنى : مجموعة من النصوص . . وإذا كان يتشابه فى تركيبته تلك مع النص الشعرى ، كما هو واضح من المعلقات الجاهلية مثلاً ، فإن الفارق بين القرآن وبين المعلقة من هذه الزاوية المحددة يتمثل

(١) [نقد الخطاب الدينى] ص ٢٢١ .

(٢) [مفهوم النص] ص ٢٧ ، ٢٨ ، ١٤ .

(٣) [نقد الخطاب الدينى] ص ٩٩ .

(٤) [مفهوم النص] ص ٣٠ .

فى المدى الزمنى الذى استغرقه تكوّن النص القرآنى ، كما يتمثل فى تعدد مستويات السياق المحددة لدلالة كل جزء من أجزائه . . وهذه التعددية النصية فى بنية النص القرآنى تعد فى جانب منها نتيجة للسياق الثقافى المنتج للنص ، لأنها تمثل عناصر تشابه بين النص ونصوص الثقافة عامة ، وبينه وبين النص الشعرى بصفة خاصة . . فسياق مخاطبة النساء - [فى القرآن] - المغاير لسياق مخاطبة الرجال ، رغم الجمع بينهما فى سياق واحد فى كثير من الأحيان ، يمثل القرآن فيه تجاوزاً للنصوص الشعرية السائدة ، وانحيازاً لنصوص الصعاليك ، حيث تمثل الزوجة مخاطباً فى بعض نماذجه»^(١)

هذه هى رؤية صاحب هذا المشروع الفكرى - الحدائى التنويرى العلمانى - للوحى القرآنى . . فهو - بنظره - «خطاب تاريخى ، لا يتضمن معنى مفارقاً جوهرياً ثابتاً» . . أى أن كل ما فى القرآن هو «تاريخى» لا ثبات له أو فيه . . لأنه «نص بشرى . . تكوّن فى الواقع . . فالواقع هو صانع القرآن وفاعله ، والقرآن مصنوع للواقع ومنفعل به . . فالواقع أولاً ، والواقع ثانياً ، والواقع أخيراً» . . !!

(١) مجلة [القاهرة] - مشروع النهضة بين التوفيق والتلفيق - أكتوبر سنة ١٩٩٢ م .

● وكذلك حال النبوة والوحي - عند صاحب هذا المشروع الفكري . . . فليس فيهما إعجاز مفارق للواقع . . وإنما هي ظاهرة إنسانية ، يفسرها « الخيال » و« قوة المخيلة » على النحو الذى يشبه ما عند « الشعراء » و« العارفين »! . . وفى ذلك يقول :

« إن تفسير النبوة بالاعتماد على مفهوم « الخيال » ، معناه أن ذلك الانتقال من عالم البشر إلى عالم الملائكة انتقال يتم من خلال فاعلية « المخيلة » الإنسانية التى تكون فى « الأنبياء ».. بحكم الاصطفاء والفطرة - أقوى منها عند سواهم من البشر . وإذا كانت فاعلية « الخيال » عند البشر العاديين لا تتبدى إلا فى حالة النوم وسكون الحواس عن الانشغال بنقل الانطباعات من العالم الخارجى إلى الداخل ، فإن « الأنبياء » و« الشعراء » و« العارفين » قادرون دون غيرهم على استخدام فاعلية « المخيلة » فى اليقظة والنوم على السواء . وليس معنى هذا التسوية بين هذه المستويات من حيث قدرة « المخيلة » وفعاليتها ، فالنبي يأتى على رأس قمة الترتيب ، يليه الصوفى العارف ، ثم يأتى الشاعر فى نهاية الترتيب . .

والنبوة فى ظل هذا التصور ، لا تكون ظاهرة فوقية مفارقة . . ويمكن أن يفهم الانسلاخ أو « الانخلاع » ، فى ظل هذا التصور ، على أساس أنه تجربة خاصة ، أو حالة من حالات

الفعالية الخلاقة .. وهذا كله يؤكد أن ظاهرة الوحي - القرآن - لم تكن ظاهرة مفارقة للواقع ، أو تمثل وثبا عليه وتجاوزاً لقوانينه ، بل كانت جزءاً من مفاهيم الثقافة ونابعة من مواضعها وتصوراتها . . فلقد كان محمد - المستقبل الأول للنص - جزءاً من الواقع والمجتمع . كان ابن الواقع ونتاجه..»^(١) .

هكذا أنكر صاحب هذه النزعة التاريخية المادية أن يكون هناك إعجاز أو معجزة مفارقة للواقع فى الوحي والنبوات والرسالات . .

● وتبعاً لحكم صاحب هذا الاتجاه على كل القرآن الكريم بأنه « خطاب تاريخى . . ونص بشرى » حكم بأن ما جاء فى هذا القرآن من « عقائد » هى - الأخرى - تاريخية ، لأنها - برأيه - ثمرة لأساطير الواقع الذى أفرزها . . ويعبارته :

« فإن العقائد هى تصورات مرتبهة بمستوى الوعى وتطور مستوى المعرفة فى كل عصر . . وإن النصوص الدينية قد اعتمدت فى صياغة عقائدها على كثير من التصورات الأسطورية فى وعى الجماعة التى توجهت إليها النصوص الدينية بالخطاب . . »!^(٢)

(١) [مفهوم النص] ص ٥٦ ، ٥٩ ، ٣٨ ، ٦٧ .

(٢) [نقد الخطاب الدينى] ص ١٩٨ .

● وكذلك الشريعة - برأى صاحب هذه النزعة التاريخية - ليست وضعا إلهياً ، ولا تنزيلاً سماوياً . . وإنما هي ثمرة للواقع الذى أفرزها وصنعها . . ومن ثمّ فهي مرتبطة بهذا الواقع . . وبعبارة :

« . . إن الشريعة . . صاغت نفسها مع حركة الواقع الإسلامى فى تطوره^(١) . . وإذا قرأنا نصوص الأحكام من خلال التحليل العميق لبنية النصوص . . وفى السياق الاجتماعى المنتج للأحكام والقوانين ، فربما قادتنا هذه القراءة إلى إسقاط كثير من تلك الأحكام ، بوصفها أحكاماً تاريخية ، كانت تصف واقعاً أكثر مما تصنع تشريعاً .. »^(٢).

● ثم ينتهى صاحب هذه النزعة التاريخية إلى الحكم بالتاريخية على كل النصوص الدينية ، ونفى القداسة والإطلاق والخلود عنها وعن دلالاتها وأحكامها . . فيقول :

« إننا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية . . وإذا كانت النصوص الدينية نصوصاً بشرية بحكم انتمائها للغة والثقافة فى فترة تاريخية محددة ، هى فترة تشكلها وإنتاجها ، فهى

(١) [نقد الخطاب الدينى] ص ٩٩ .

(٢) مجلة [القاهرة] - إهدار السياق فى تأويلات الخطاب الدينى - يناير سنة ١٩٩٣ م .

بالضرورة نصوص تاريخية» . . وهذه التاريخية «تحرك دلالة النصوص ، وتنقلها فى الغالب من الحقيقة إلى المجاز ..»^(١) .

* * *

ولقد حاول أصحاب هذا الاتجاه ، الذى يفرغ الدين من الدين ! . . ويقيم قطيعة معرفية - ومن ثمَّ عملية - كبرى مع «الحقيقة الدينية» ، وذلك بتحويل هذه «الحقيقة» إلى «مجاز» يتعدد بتعدد القراء للنص الدينى! . . حاولوا صنع ذلك بلون من «التأويل العبشى» الذى لا صلة له بالتأويل الصحيح المضبوط بضوابط اللغة وثوابت الاعتقاد . . ذلك التأويل الصحيح الذى وضع له القواعد علماء الإسلام - من الأصوليين والفلاسفة والمفسرين والفقهاء - . .

حاول أصحاب هذه النزعة التاريخية بهذا «التأويل العبشى» أن يحولوا حقائق الألوهيات والنبوات والوحى إلى «مجازات» تشير السخرية . . وتضحك الثكلى! . . فالله - فى هذا التأويل العبشى - هو : الأرض . . والخبز . . والحرية . . وصرخات الألم . . وصيحات الفرخ . . والكفاح المسلح . . والإصلاح الزراعى! . . وصفات الله هى صفات الإنسان الكامل! . . والتوحيد هو وحدة البشرية ووحدة التاريخ! . . والوحى هو البناء المثالى للعالم!

(١) [نقد الخطاب الدينى] ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

والعلمانية هي أساس الوحي ! . . . والإلحاد هو التجديد والمعنى
الأصلي للإيمان !!!^(١) . . . واللوح المحفوظ هو تدوين المعارف
والعلوم^(٢) !!! . . . والنبوة والوحي هما قوة في « المخيلة »
و« الخيال »!^(٣) . . . إلى آخر هذا العبث التأويلي ، أو التأويل
العبثي ، الذي هو صورة مستعارة من « الهيرمينوطيقا »
Hermeneutics الغربية ، دون زيادة أو نقصان .

ولأن أصحاب هذه النزعة يكثرون الحديث عن الفقيه
الفيلسوف أبو الوليد بن رشد [٥٢٠ - ٥٩٥ هـ - ١١٢٦ -
١١٩٨ م] ويعتبرونه المنفرد بالعقلانية والتفلسف والتأويل في
تاريخ الإسلام ، فإننا سنجعل ابن رشد هو الذي يعلم أصحاب
هذا التأويل العبثي القواعد العلمية والفلسفية للتأويل الصحيح ،
وذلك حتى نعرى تأويلهم العبثي من أية علاقة بالعلم والفكر
واحترام العقول ! . . .

لقد نبه ابن رشد على أن للتأويل العربي - أي في اللغة العربية -
ضوابط حددتها اللغة ، فهو لا يجوز إلا في المواطن التي تتوفر
فيها للنص هذه الضوابط اللغوية . . . وذلك عندما قال :

(١) [التراث والتجديد] ص ٦٧ ، ٦٩ ، ١١٤ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٧٦ ،
١٧٧ .

(٢) [من العقيدة إلى الثورة] ١٣٥/٤ .

(٣) [مفهوم النص] ص ٥٦ .

«ومعنى التأويل : هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية ، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب فى التجوُّز ، من تسمية الشئ بشيئه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنة ، أو غير ذلك من الأشياء التى عُدَّت فى تعريف أصناف الكلام المجازى» .

كما نبه ابن رشد على الإجماع الإسلامى على أن التأويل جائز فى بعض نصوص الشرع ، فلقد «أجمع المسلمون على أنه لا يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها ، ولا أن تُخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل» . . فما ثبت فيه «الإجماع بطريق يقينى لم يصح» فيه التأويل . . .

كما نبه ابن رشد على وجود شواهد فى النصوص تُعيِّن مواطن التأويل ومواضعه . . فكان «ظاهر الشرع» هو سبيل من سبيل التحديد لمواطن «التأويل» لأنه ما من منطوق به فى الشرع ، مخالف بظاهره لما أدى إليه البرهان ، إلا إذا اعتُبرَ وتُصَفِّحَتْ سائر أجزائه ، وُجد فى ألفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل ، أو يُقارب أن يشهد» .

وخلص ابن رشد إلى أن المقصد من التأويل ، القائم «على قانون التأويل العربى» هو «الجمع بين المعقول والمنقول» ، وليس إحلال المعقول محل المنقول» .

الأمر الذى جعل بالإمكان إيجاز عناصر قانون التأويل - عند ابن رشد - على هذا النحو :

١- التأويل جائز .

٢- فى المواطن التى يقوم فيها البرهان على استحالة الظاهر .

٣- وبشرط تحقق شروط اللغة العربية فى المجاز - الذى تُخْرَجُ فيه دلالات الألفاظ من حقيقتها إلى مجازها .

٤- وفيما لم يثبت فيه إجماع يقينى على أن المراد هو ظاهر الألفاظ .

٥- وبترشيح دلالات ظواهر بعض النصوص على مواطن التأويل فى بعضها .

٦- ومن أجل الجمع بين المعقول والمنقول ، لا المقابلة بينهما ، والانحياز لأحدهما ، تجاوزاً للآخر أو نفيًا له .

٧- على أن يظل التأويل حقًا للخاصة ، من الراسخين فى العلم ، لا يُصْرَحُ به للعامة ، ولا يُثَبَّتُ فى كتب الجمهور - حتى ولو كان تأويلًا صحيحًا ، مستجمعًا لشروط التأويل وضوابطه - وبعبارة ابن رشد :

« . . فهذا التأويل لا ينبغى أن يُصْرَحَ به لأهل الجدل ، فضلًا عن الجمهور ، ومتى صُرِّحَ بشيء من هذه التأويلات

لمن هو من غير أهلها . . أفضى ذلك بالمصرِّح والمصرِّح إلى الكفر . . فلا يجب أن تثبت التأويلات الصحيحة في الكتب الجمهورية ، فضلاً عن الفاسدة . . وأما المصرِّح بهذه التأويلات لغير أهلها فكافر» .

٨- أما أخبار عالم الغيب، وكذلك المعجزات، ومبادئ الشريعة، وكل ما لا يستطيع العقل الإنساني الاستقلال بإدراك كنهه، فلقد أوجب ابن رشد أخذه على ظواهره، دون تأويل، لأن هذه العقائد - عنده - مما تُعَلَّم بنفسها، بالطرق الثلاث للتصديق: الخطائية .. والجدلية .. والبرهانية .. ولذلك - كما يقول - «لم نحتج أن نضرب له أمثالاً، وكان على ظاهره، لا يتطرق إليه تأويل، وهذا النحو من الظاهر إن كان في الأصول فالمتأول له كافر، مثل من يعتقد أنه لا سعادة أخروية ههنا ولا شقاء، وأنه قصد بهذا القول أن يسلم الناس بعضهم من بعض في أبدانهم وحواسهم، وأنها حيلة، وأنه لا غاية للإنسان إلا وجوده المحسوس فقط . . إن ها هنا ظاهراً من الشرع لا يجوز تأويله، فإن كان تأويله في المبادئ فهو كفر، وإن كان فيما بعد المبادئ فهو بدعة» .

٩- وحتى الحكماء من الفلاسفة - برأى ابن رشد - لا يجيزون تأويل أخبار الغيب ومبادئ الشريعة والمعجزات .. ولا يجوز

عندهم التكلم ولا الجدل فى مبادئ الشرائع ، وفاعل ذلك
عندهم محتاج إلى الأدب الشديد ، وذلك أنه لما كانت كل
صناعة لها مبادئ ، وواجب على الناظر فى تلك الصناعة أن
يسلم مبادئها ، ولا يتعرض لها بنفى ولا إبطال ، كانت
الصناعة العملية الشرعية أخرى بذلك ، لأن المشى على
الفضائل الشرعية هو ضرورى عندهم ، ليس فى وجود
الإنسان بما هو إنسان ، بل وبما هو إنسان عالم ، ولذلك
يجب على كل إنسان أن يسلم مبادئ الشريعة وأن يقلد
فيها ، فإن جحدتها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الإنسان ،
ولذلك وجب قتل الزنادقة .

فالذى يجب أن يقال فيها : إن مبادئها أمور إلهية تفوق
العقول الإنسانية ، فلا بد أن يُعترف بها مع جهل أسبابها . .
ولذلك لا تجد أحداً من القدماء تكلم فى المعجزات ، مع
انتشارها وظهورها فى العالم ، لأنها مبادئ تثبتت الشرائع ،
والشرائع مبادئ الفضائل . ولا فيما يقال بعد الموت . فإذا
نشأ الإنسان على الفضائل الشرعية كان فاضلاً بإطلاق ، فإن
تمادى به الزمان والسعادة إلى أن يكون من العلماء الراسخين
فى العلم ، فعرض له تأويل فى مبدأ من مبادئها ، فيجب عليه

أن لا يصرح بذلك التأويل ، وأن يقول فيه كما قال تعالى :
﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمِنَّا بِهِ ﴾ (آل عمران: ٧).

هذه حدود الشرائع وحدود العلماء . . . »

١٠- ويرى ابن رشد - فوق ذلك - أن الإفراط فى التأويل ، بعد
عصر الصدر الأول للأمة ، هو المسئول عن أمراض
الاضطراب والفرقة والتكفير التى شاعت فانتشرت . . .
« فالصدر الأول إنما صار إلى الفضيلة الكاملة والتقوى
باستعمال هذه الأفاويل (التى ثبتت فى الكتاب العزيز) دون
تأويلات فيها ، ومن كان منهم وقف على تأويل لم يصرح
به .

وأما من أتى بعدهم ، فإنهم لما استعملوا التأويل قلّ تقواهم ،
وكثر اختلافهم ، وارتفعت محبتهم ، وتفرقوا فرقا . فيجب على
من أراد أن يرفع هذه البدعة عن الشريعة ، أن يعمد إلى
الكتاب العزيز ، فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة فى شىء
شىء ، مما كلفنا اعتقاده ، ويجتهد فى نظره إلى ظاهرها
ما أمكنه من غير أن يتأول من ذلك شيئا ، إلا إذا كان التأويل
ظاهرا بنفسه ، أعنى ظهورا مشتركا للجميع . . . ذلك أنه لما
تسلط على التأويل فى هذه الشريعة من لم تتميز له هذه
المواضع ، ولا تميز له الصنف من الناس الذى يجوز التأويل

في حقهم ، اضطرب الأمر فيها ، وحدث فيهم فرق متباينة يكفر بعضهم بعضاً ، وهذا كله جهل بمقصد الشرع وتعدُّ عليه .. »^(١) .

هكذا وضع ابن رشد قانوناً للتأويل ، وشروطاً لجوازه ، قصرته على ما وراء العقائد ومبادئ الشريعة وأخبار الغيب والمعجزات .. وجعل التأويل فيما وراء ذلك مشروطاً بتوفر الضوابط اللغوية ، وبشهادة النصوص المؤولة على أن فيها تأويلاً ظاهراً بنفسه للجميع ..

وهكذا يصبح « التأويل العبثي » لدعاة التاريخية « سخريية .. وهزلاً » ، لا علاقة له بالعلم والعلماء!.. بل لقد حكم - ابن رشد - حكمه الصارم على الزنادقة الذين أولوا في مبادئ الشريعة والمعجزات والمغيبات .

* * *

(١) ابن رشد [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال . ص ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٥ . دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة . طبعة دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٩٩ م . و [تهافت التهافت] ص ١٢٤ ، ١٢٥ . طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣ م . و [مناهج الأدلة في عقائد الملة] ص ٥١ ، ٢٤٩ دراسة وتحقيق : دكتور محمود قاسم . طبعة مكتبة الأنجلو - القاهرة . بدون تاريخ .

الخلاصة

- تلك هي التاريخية . . التي :
- تنزع القداسة عن النصوص الدينية الإلهية التي تقديست في كل الشرائع والديانات . .
 - وتنفي العموم والإطلاق والخلود عن أى من الحقائق والمعانى والدلالات والأحكام التي جاءت في هذه النصوص الدينية . .
 - وتجعل هذه النصوص الدينية - بما فيها الوحي السماوى - بشرية ، صنعها الواقع . . في «ديالكتيك صاعد» - وليست تنزيلاً ، ولا «ديالكتيك هابطاً» . . فالواقع أولاً . . والواقع ثانياً . . والواقع أخيراً . .
 - وتجعل العقائد التي جاءت بها هذه النصوص - بما فى ذلك عقائد : الألوهية . . والنبوة . . والوحي - ثمرة للواقع وأساطيره . .
 - وتجعل الشريعة مصنوعة للواقع . . وليست وضعا إلهيا وتنزيلاً سماوياً . .
- لتصل - هذه التاريخية - إلى إحالة الديانات وكتبها وعقائدها وشرائعها ومنظومات قيمها وأخلاقها إلى «مستودع التاريخ» ، حاكمة بطى صفحاتها مع صفحات التاريخ الذى ظهرت فيه . .

● ومستعينة على ذلك بلون من « التأويل العبثى » - الذى لا علاقة له بالتأويل الذى حدد قواعده وضوابطه وشروطه الفلاسفة والمفسرون - حتى لنجد - فى هذا التأويل العبثى « مسرحا للعبث » يدعى أصحابه أن الله هو الأرض .. والخبز .. والحرية .. والكفاح المسلح .. والإصلاح الزراعى !! .. وأن صفات الكمال والجلال الإلهية ، وأسماء الله الحسنى هى صفات الإنسان !! .. وأن التوحيد هو وحدة التاريخ !! وأن الإيمان هو الإلحاد! .. وأن الإلحاد هو التجديد !! .. وأن النبوة والوحى قوة مخيلة وخيال ، كما هو الحال عند الشعراء والكهان والعارفين !! ..

* * *

وإذا كان المبشرون بهذه « التاريخية » - وهم الناقلون لها عن التنوير الوضعى الغربى ، بحذافيرها ، حذوك النعل بالنعل! .. إذا كانوا يحتجون بأن هذا التنوير الوضعى الغربى ، وهذه « التاريخية » ، هى التى جعلت الغرب ينهض ويتقدم ويخرج من عصوره المظلمة .. وأنهم إنما يريدون - بهذه المحاكاة - تحقيق النهوض والتقدم لأمتنا .. فإنهم يغفلون ويتغافلون عن الفروق الجوهرية بين إسلامنا وبين لاهوت النصرانية الغربية .. بين تاريخنا الحضارى وبين التاريخ الحضارى للغرب ..

● لقد عرف الغرب الكهانة الكنسية التي اختزلت الحقيقة والعلم في الإنجيل . . . وحرمت التجريب في الواقع ، لأنه « دنس » - ومملكة المسيح ليست في هذا العالم الدنس - . . . كما قدست الدولة والمجتمع وثبتهما عندما حكمت بالحق الإلهي والتفويض السماوي - مستبعدة سلطة الأمة - . . . ومن هنا دخلت هذه الكهانة الكنسية بأوروبا في عصور الظلمات . . . فلم يجد فلاسفة التنوير أمامهم إلا هذه « التاريخية » ، التي تنسخ هذا اللاهوت الخرافي لتكسر قيوده وتحطم أغلاله عن رقاب الشعوب والقوميات الأوربية ، وتحيله - بالتاريخية - إلى « مستودع التاريخ » ! . . .

● أما إسلامنا ، فهو يرى من الكهانة - بل عدو لها - حتى أنه لا يعرف ولا يعترف بوظيفة « رجل الدين » ! . . .

● وتاريخنا الحضارى لم يعرف « حكومة فقهاء » !

● والإسلام هو الذى حفز على إبداع العقلانية المؤمنة ، النابعة من القرآن الكريم ، والمدافعة - بالعقل - عن عقائد الدين . . .

● وهو الذى حفز المسلمين على النظر والتعقل والتفكير والتدبر فى كل أنحاء الخلق والملكوت ، بما فى ذلك الواقع ، والتجريب فيه ، حتى لقد ارتاد المسلمون إبداع المنهج التجريبي فى تاريخ العلم العالمى . . .

● ومن هنا . . فإذا كانت حاكمية اللاهوت الكنسى الأوروبى ، قد دفعت أوروبا إلى عصور الجهالة والظلمات فإن سيادة حاكمية النص الدينى الإسلامى هى التى حفزت المسلمين إلى إحياء الموارىث الحضارية القديمة . . وإلى تطويرها . . والإبداع فى الإضافة إليها والبناء عليها . . على النحو الذى جعل الحضارة الإسلامية المنارة التى تفردت بإنارة الدنيا لأكثر من عشرة قرون ، كانت فيها الأمة الإسلامية «العالم الأول» على ظهر هذه الأرض طوال تلك القرون . .

فإسلامنا : نور . . وقرآنا : نور . . ورسولنا : نور . . والحكمة عندنا : نور . . ومن ثمَّ فإن الاستنارة بها هى السبيل إلى التقدم والنهوض . .

ولست السبيل هى «التاريخية» الغربية ، التى جاءت «حلا غربياً» «لمشكلة غربية» - مشكلة اللاهوت الكنسى - الظلامى - الذى أدخل أوروبا عصور التراجع والجمود والرجعية والظلمات . . إن تاريخنا الحضارى لم يعرف «المشكلة الأوربية» ، التى استدعت هذه «التاريخية الأوربية» . . وليس من العقل أو الحكمة فى شىء أن «نستورد مشكلة» غربية عنا «لنستورد» لها هذه «التاريخية» الغربية عن روح الإسلام . .

وليس من العقل أو الحكمة أن نحيل إسلامنا ، الذى هو الحافز على تقدمنا ونهوضنا وعزتنا ، إلى «مستودع التاريخ» ! .

المصادر والمراجع

ابن رشد : [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال]
دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة - طبعة دار
المعارف - القاهرة سنة ١٩٩٩ م .

: [تهافت التهافت] طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣ م .

: [مناهج الأدلة فى عقائد الملة] دراسة وتحقيق : دكتور
محمود قاسم . طبعة مكتبة الأنجلو - القاهرة - بدون
تاريخ .

ابن النجار : [شرح الكوكب المنير] تحقيق : دكتور محمد
الزحيلي ، دكتور نزيه حماد . طبعة السعودية سنة
١٩٨٧ م .

إميل بولا : [الحرية ، العلمنة ، حرب شطرى فرنسا ومبدأ
الحدائثة] طبعة باريس سنة ١٩٨٧ م .

دكتور حسن حنفي : [التراث والتجديد] طبعة القاهرة
سنة ١٩٨٠ م .

: [من العقيدة إلى الثورة] طبعة القاهرة
سنة ١٩٨٨ م .

: [دراسات إسلامية] طبعة بيروت
سنة ١٩٨٢ م .

: [تربية الجنس البشرى - للسنج] - تقديم -
طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م .

الزركشى : [البحر المحيط] تحقيق : دكتور عبد الستار أبو غدة -
طبعة الكويت .

سانتيلانا : [القانون والمجتمع] بحث منشور بكتاب [تراث
الإسلام] ترجمة : جرجيس فتح الله - طبعة بيروت سنة
١٩٧٢ م .

السيوطى : [أسباب النزول] طبعة القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ .

: [الإتقان فى علوم القرآن] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٥ م .

محمد سعيد العشماوى : [الإسلام السياسى] طبعة القاهرة سنة
١٩٨٩ م .

: [معالم الإسلام] طبعة القاهرة
سنة ١٩٨٩ م .

: [أصول الشريعة] طبعة القاهرة
سنة ١٩٧٩ م .

: [جوهر الإسلام] طبعة القاهرة
سنة ١٩٩٢ م .

دكتور محمد عمارة : [سقوط الغلو العلماني] طبعة دار الشروق -
القاهرة سنة ١٩٩٥ م .

دكتور نصر حامد أبو زيد : [مفهوم النص] طبعة القاهرة سنة
١٩٩٠ م .

: [نقد الخطاب الديني] طبعة القاهرة
سنة ١٩٩٢ م .

: [مشروع النهضة بين التوفيق
والتلفيق] - مجلة «القاهرة» عدد
أكتوبر سنة ١٩٩٢ م .

: [إهدار السياق في تأويلات الخطاب
الديني] - مجلة «القاهرة» - عدد يناير
سنة ١٩٩٢ م .

هاشم صالح : مجلة «الوحدة» - المغرب - عدد فبراير / مارس
سنة ١٩٩٣ م .